

- ٢ -

الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية

للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الفضل

محمد بن علي بن احمد بن علي

ابن طولون

المتوفى عام

٩٥٣

عن مبيضة المصنف رحمه الله

عنيت بنشرها

مكتبة القدسي والبديري

دمشق : صندوق البريد ٢٠٧

مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٨

اهداءات ٢٠٠٢

أسرة د/ عبد الرحمن بدوي
جمعية د /عبد الرحمن بدوي للإبداع الثقافي
القاهرة

رسائل تاريخية

- ٢ -

الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية

للحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الفضل
محمد بن علي بن احمد بن علي
ابن طولون
المتوفى عام
٩٥٣

عن مبيضة المصنف رحمه الله

عنيت بنشرها
مكتبة القدسي والبدير
دمشق، صندوق البريد ٢٠٧

مطبعة الترقي بدمشق عام ١٣٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيد عساكر الاسلام ويا له من مؤيد وناصر والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين العناصر وبعد فهذا تعليق سميته « الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية » سألني في تعليقه اخونا المحدث المفيد الرحال محب الدين محمد المدعو جار الله بن الحافظ عزالدين عبد العزيز بن الحافظ سراج الدين محمد المدعو عمر بن الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي العلوي المكي الشافعي أمتع الله بحياته الانام وأعاد علينا من بركات اسلافه الكرام لما قرأ علي بمقام ابي الدرداء بها مسنده المختصر من الانتخاب من مسند ابي الدرداء لابي اسحق ابراهيم بن محمد ابن عبيد بن جهينة الشهرزوري الحافظ يوم الاثنين ثامن ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بحضرة بعض الافاضل المفيدين فأجبته الى سؤاله مستعيناً بالله فانه نعم المعين فأقول :

قال العز بن شداد في كتابه « الاعلاق الخطيرة » كانت بنو أمية تنزل في الخضراء داخل دمشق فلما ملك بنو العباس وخربوا دورهم وسور دمشق وعفوا آثارهم بنوا سورها ودار امارتها وكانت تسمى القصر ولم تزل الامراء ممن يملك دمشق تنزله الى ان كانت بين الرعية و بين اميرها من جهة المستنصر صاحب مصر وهو امير الجيوش بدر الدويري

منافرات أوجبت الوحشة بينهم و بينه فأحرقوا القصر ونقضوا اخشابه ولم يبق بدمشق دار امارة الى ان ملكها تاج الدولة تتش سنة ٤٧١ فبنى بها قلعة لطيفة جعلها دار امارة وسكنها وبنى لولده رضوان بها داراً وهي الآن في عصرنا تعرف به ولما ملكها شمس الملوك ابودقاق سنة ٤٨٨ زاد فيها وشيدها ولما تولى تدبير الملك بدمشق تتش بن دقاق بعد موت ابيه ظهير الدين ظغتكين ثم تغلب عليها زاد فيها فلما مات وملك بعده ولده شمس الملوك اسماعيل سنة ٥٢٧ جدد باب الحديد الاوسط الذي يفتح شمالاً بها وعمل جسر الباب الشرقي وجسر خشب في وسطه باب يفتح و يغلق و يشال الجسر متى أحب ذلك ولما ملك نور الدين الشهيد بنى بها داراً حسنة وهي الآن تعرف به وداراً تسمى دار المسرة في غاية الحسن وانشأ الى جوارها حماما ولما ملك العادل دمشق هدم هذه القلعة ووزع بناءها على أمرائه وجعلها اثني عشر برجاً كل برج منها في قدر قلعة وحفر لها خندقاً وأجرى اليه الماء فعمرت احسن عمارة من أموال من وزعت عليه من الامراء ثم جدد فيها ولده الملك المعظم مباني من دور وقصور ولما ملكها الاشرف موسى هدم دار المسرة وجددها وبنى البحرة و بنى بها الملك الكامل داراً وسميت بالدار الكاملية ولما ملكها الملك الصالح نجم الدين بنى بها دركاة لباب المدينة ولما ملكها الملك الناصر صلاح الدين يوسف جدد دار رضوان وكان قد وقع روشنها وعمل بها قبة مرتفعة ولما ملكت التتر البلاد واستولوا على دمشق هدموا اشرار بفها وشعثوا أبرجتها وهدموا كثيراً منها فلما ملكها الملك الظاهر جددها وشيدها ورم

ما كان التتر المخذولون هدموه منها وبنى على برج الزاوية المطل على الميدان مشترفاً عالياً متقن البناء وبنى بها قاعة الى جوار البحرة لولده الملك السعيد ولم يزل البناء بها الى حين وضعنا هذا التاريخ وهو سنة ٦٧٥ .

ولها في زماننا أربعة أبواب باب الحديد وباب المدينة وباب يخرج منه الى دار السعادة وباب من جهة الغرب يخرج منه الى حكر السماق ومنه يركب السلطان ولها ثلاثة ابواب شرقي الخنادق اهـ .

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة تسعين وستمائة وفيها نادى نائب الشام علم الدين سنجر الشجاعي ان لا تلبس أمراؤه عمامة كبيرة وخرب الابنية التي على نهر بانياس والجداول كلها والمسالخ والسقايات التي على الانهار كلها وأخرب جسر الزلابية وما عليه من الدكاكين وأخرب الحمام الذي كان بناه الملك السعيد ظاهر باب النصر ولم يكن بدمشق أحسن منه ونادى ان لا يمشي أحد بعد عشاء الآخرة ثم أطلق لهم هذه فقط ووسع الميدان الاخضر من ناحية الشمال مقدار سدسه ولم يترك بينه وبين النهر الا مقداراً يسيراً وعمل هو بنفسه والامراء في حيطاله انتهى .

قلت قال ابن قاضي شهبة في ذيله في سنة سبع وعشرين وثمانمائة في ذي القعدة منها ومن حوادث هذا الشهر ان النائب يعني سودون عبد الرحمن حسن له ان يزرع طرف الميدان الكبير غيطة فأرسل يشاور السلطان الملك الاشرف برسباي في ذلك فارسل اليه مرسوماً بذلك والمسامحة بالثمن وهو مائة دينار فأخذ في عمله وتسخير الناس وبنى له

عمارة مقابل ذلك على الشرف الشمالي انتهى . وفي زماننا زرعه النائب أعني قانصوه البحياوي مغلاً فغرق ولم يسبل فترك للدواب والله اعلم .

ثم قال ابن كثير فيها وفي شوال منها شرع في بناء قلعة دمشق و بناء الدور السلطانية والطارمة والقبة الزرقاء حسب مارسم به السلطان الاشرف خليل ابن قلاوون لنائبه علم الدين سنجر الشجاعي انتهى .

وقال في سنة احدى وتسعين وستمائة وفي ربيع الآخر كمل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبة الزرقاء وجاءت في غاية الحسن والكمال والارتفاع انتهى .

وقال في سنة ثلاث عشرة وستمائة وفيها شرع في تحرير خندق باب السر المقابل لدار الطعم العتيقة الى جانب بانياس . قلت هي اصطبل السلطان اليوم فنقل السلطان الملك المعظم عيسى بن الملك العادل بنفسه التراب ومماليكه تحمل بين يديه على القربوس القفة من التراب فيفرغها في الميدان الاخضر وكذلك أخوه الصالح اسماعيل ومماليكهما يعمل هذا يوماً وهذا يوماً انتهى .

وقال في سنة تسع وخمسين وستمائة في ترجمة الملك الناصر يوسف ابن العزيز بن غازي وبنى الخان الكبير تجاه الزنجاري وحولت اليه دار الطعم وقد كانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم انتهى

وقال الذهبي في مختصر تاريخ الاسلام في سنة تسعين وستمائة وولي نيابة دمشق علم الدين سنجر الشجاعي فعمر دار السلطنة بقلعة دمشق والطارمة و بالغ في تحسين ذلك وزخرفته واكمل الجميع في سبعة اشهر

فكان هو بنفسه يقف على العمارة و يستحث الصناع فكان ناس يحفرون في الاساس والنجارون قد قدموا السقوف المزخرفة وشرعوا فيها وفيها أمر نائب السلطنة المذكور فنودي بدمشق بالتهديد على من لبس عمامة كبيرة أو لبست صياغات أوخرجت الى المقابر وكذا من اكل الحشيشة وكان ذا هيبة وسطوة فانزجر النساء قاطبة انتهى ·

وقال في العبر في سنة احدى المذكورة وفي جمادى الاولى قدم السلطان الملك الاشرف دمشق وقد فرغ الشجاعي من بناء الطارمة والرواق وقاعة الذهب والقبة الزرقاء بقلعة دمشق وفرغ جميع ذلك في سبعة اشهر وجاء في غاية الحسن انتهى ·

وقال الاسدي في تاريخه في سنة تسع وتسعين وخمسمائة وفي هذه السنة في عمارة سور قلعة دمشق قال ابن كثير وابتدئ ببرج الزاوية الغربية القبلية المجاورة لباب النصر انتهى · قلت ويعرف ببرج القصب وقد سقط في زماننا في سنة خمس وستين وثمانمائة عقب الرمي على نائب السلطنة بدمشق خانم اخي الاشرف ثم عمر جديداً انتهى ·

وقال في سنة اربع وستمائة وفيها شرعوا في عمارة البرج الذي قبالة المدرسة القيمازية انتهى ·

وقال في سنة اربعين وثمانمائة في صفر منها وفي هذه الايام أجري الماء في حوض تحت الطارمة انشاء شخص طبيب يقال له ابو الذوائب العباسي ساق الماء من فايض البازيان الذي حذاء اصطبل السلطان الى

بيته ومسجد هناك والى الحوض المذكور وغرم على ذلك جملة وأخذ من الامراء في ذلك مالاً انتهى ·

وبهذه القلعة جامع تقام فيه الى زمننا الجمعة وبه مدرسة حنفية تسمى النورية الصغرى قال العز بن شداد هي مدرسة بجامع القلعة واقفها الشهيد نور الدين محمود بن زنكي قدس الله روحه ولم يعلم من درس بها من زمن نور الدين الى زمن الملك الاشرف سوى بهاء الدين عباس وكان خطيباً بالجامع وكان رجلاً فاضلاً وتولاها من بعده تاج الدين بن سوار الى ان انتقلت منه الى شمس الدين القونوي وهو حسين بن العباس ووليها بعده شمس الدين سليمان الملطي ثم وليها بعده برهان الدين التركمالي أياماً قلائل ثم تولاها بعده نجم الدين حمزة المعروف بابن الكاشي الى ان سافر الى الكرك وأقام بها فتولاها شخص يقال له الشهاب الرومي وذكر بها الدرس اياماً قلائل ثم نقل الى الديار المصرية فوليها بعده شمس الدين محمد الاذرعي وهو بها الى الآن انتهى ·

قلت ومن مدرسيها الشيخ محيي الدين الاسمر ثم اخذت منه لعماد الدين بن الطرسوسي الذي ولي قضاء الحنفية والله اعلم ·

وقال ابن كثير في تاريخه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة في المحرم منها وفيه امر السلطان الملك الناصر بن قلاوون بعمارة جامع القلعة وعمارة جامع مصر العتيقة انتهى ·

وقال الاسدي في تاريخه في سنة اربع وعشرين وثمانمائة في جمادى الآخرة منها وفي هذا الشهر فرغت المأذنة بجامع القلعة وكان قد الزم بها

القاضي شمس الدين الاذرعي بسبب انه مدرس القلعة فذكر ان هذه المأذنة محدثة أحدثها الامير زبالة يعني زين الدين الفارقاني نائب القلعة في ايام الملك المنصور بن الملك المحفوظ في سنة اثنتين وستين وسبعمائة فلم يسمع منه وأوذي وأهين فلما كان في هذا الوقت كان قد بقي في رأسها شيء يسير وبياضها فطلبه نائب القلعة وأهانه وربما قيل انه ضربه فلا قوة الا بالله انتهى ·

وقال في الاعلاق الخطيرة وفي القلعة المحروسة المسجد الكبير الذي أنشأه نور الدين فيه منارة وبركة وعلى بابه سقاية وله امام ومؤذن ووقف مسجد في الدركاة لطيف سفل أنشأه نورالدين رحمه الله ومسجد عند باب الدركاة سفل لطيف ومسجد فيه عريش وله امام ويقال انه مسجد الضحاك بن قيس ومسجد داخل باب القلعة معلق فيه سقاية انتهى · قلت وقد جدد الآن في حوشها مسجد فيه سقاية والله اعلم ·

وقد تقدم ان احد ابواب هذه القلعة يخرج منه الى دار السعادة وهي التي اشار اليها ابن الاثير بقوله بلغ من عدل نور الدين الشهيد انه اول من بنى داراً لكشف الظلامات وسماها دار العدل وسببه انه لما أقام بدمشق بأمرائه وفيهم اسد الدين شيركوه تعدى كل منهم على من جاوره فكثرت الشكاوى الى القاضي كمال الدين الشهرزوري فانصف بعضهم من بعض ولم يقدر على الانصاف من شيركوه لأنه كان اكبر الامراء فبلغ ذلك نور الدين فأمر ببناء دار العدل فلما سمع شيركوه قال لنوابه ما بنى نور الدين هذه الدار الا بسببي والا فمن يمتنع على القاضي كمال الدين والله

لئن أحضرت الى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبنه فامضوا الى كل من بينكم و بينه شيء فافصلوا الحال منه وارضوه ولو أتى على جميع ما في يدي فقالوا له ان الناس اذا علموا هذا اشتطوا في الطلب فقال خروج أملاكي عن يدي أسهل علي من ان يراني نور الدين بعين أني ظالم أو يساوي بيني وبين آحاد العامـة في الحكومة فخرج أصحابه من عنده وفعلوا ما أمرهم به وأرضوا أخصامهم وأشهدوا عليهم فلما فرغت دار العدل جلس نور الدين فيها لفصل الحكومات وكان يجلس في الاسبوع مرتين وعنده القاضي والفقهاء و بقي كذلك مدة فلم يحضر عنده أحـد يشكو من أسد الدين فقال نور الدين لكمال الدين ما أرى أحداً يشكو من شيركوه فعرفه الحال فسجد شكراً لله تعالى وقال الحمد لله الذي اصحابنا ينصفون من أنفسهم قبل حضورهم عندنا قال ابن الاثير فانظر الى هذه المعدلة ما أحسنها والى هذه الهيبة ما أعظمها والى هذه السياسة ما أشدها هذا مع أنه كان لا يريق دماً ولا يبالغ في عقوبة وانمـا كان يفعل هذا صدقه في عدله وحسن نيته انتهى ·

و يتصل بهذه القلعة سور دمشق وهو بناء نور الدين الشهيد في حدود سنة اربع وخمسين وخمسمائة وقال الأسدي في سنة ثماني عشرة وستمائة وفيها قدر لبناء سور دمشق مائتا ألف دينار وقدر ذرعه فجاء ستة آلاف ذراع اهـ · وبهـذا السور من الابواب الباب القبلي المعروف بالباب الصغير سمي بذلك لانه أصغر أبوابها

حيث بثيث قال العز بن شداد وذكر لي بعض أصحابنا انه وجد في كتاب قديم انه كان يسمى باب الجابية الصغير والباب الذي يليه من القبلة بشرف ويعرف بباب كيسان نسبة الى كيسان مولى معاوية وذكر هشام بن محمد الكلبي انه منسوب الى كيسان مولى بشر بن عمارة بن حسان الكلبي وهو الآن مسدود والباب الشرقي سمي بذلك لانه شرقي البلد وكان ثلاثة ابواب باب كبير في الوسط وبابان صغيران من جانبيه سد منها الكبير والصغير الذي من قبليه وبقي الصغير الشامي وباب توما وهو شامي ينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما وكانت له على بابه كنيسة جعلت بعد مسجدا وباب الجنيق وهو شامي ايضا ينسب الى محلة الجنيق وهي محلة كبيرة كانت بها كنيسة فجعلت بعد مسجداً وهو الآن مسدود وباب السلامة وهو شامي ايضا سمي بذلك تفاؤلا لأنه لا يتهيأ القتال على البلد الا من ناحيته لما دونه من الانهار والاشجار وكان يسمي باب الشريف المسدود وباب الفراديس نسبة الي محلة كانت خارج البلد تسمى الفراديس في أعلى العقيبة من غربها بها بناء أحرقه المصريون سنة ثلاث وستين وثلاثمائة والفراديس بلغة الروم البساتين . وكان لها باب آخر عند باب السلامة فسد . وباب الفرج من شامه ايضا وهو محدث أحدثه الملك العادل نور الدين الشهيد وسماه بهذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بفتحه وكان بقربه باب يسمى باب العمارة فتح عند عمارة القلعة ثم سد وأثره في السور باق وباب

الحديد من شامه أيضا وهو الآن خاص للقلعة التي أحدثت غربي البلد في دولة الاتراك سمي بذلك لانه كله حديد وباب الجنان من غربي البلد سمي بذلك لما يليه من الجنان وهي البساتين ويقال له باب النصر وباب دار السعادة وقد كان مسدوداً ثم فتح وباب الجابية من غربي البلد منسوب الى قرية الجابية وكانت الجابية في الجاهلية قرية عظيمة لان الخارج يخرج منه اليها وكان ثلاثة ابواب الاوسط منها كبير ومن جانبيه صغيران على مثال ما كان الباب الشرقي وكان بين الثلاثة الأبواب ثلاثة أسواق ممتدة من باب الجابية الى الباب الشرقي كان الاوسط من الاسواق للناس وأحد السوقين لمن يشرق بدابة والآخر لمن يغرب بدابة حتى انه كان لا يلتقي فيها راكبان فسد الباب الكبير والشامي منها وبقي القبلي الى الآن. وفي السور أبواب صغار غير ماذكرنا نفتح عند وجود الحاجة اليها منها باب في حارة الخاطب يعرف بباب اسماعيل وباب في المدينة والحاصل ان الابواب المفتوحة فيه الآن ثمانية وفيها يقول شرف الدين ابو عبد الله الحسين بن علي الصفدي وهو شعر جيد:

دمشق في أوصافها　　جنة خلد راضيه
أما ترى أبوابها　　قد جعلت ثمانيه

قال الحافظ ابن عساكر وبلغني عن بعضهم ان الذي بنى دمشق بناها على الكواكب السبعة وصور على الباب الذي يقال له اليوم باب كيسان صورة زحل بخربت الصور كلها التي كانت على الابواب الا باب كيسان

فان صورة زحل باقية عليه الى الآن . وأسند عن أبي القاسم تمام بن محمد الرازي قال قرأت في كتاب عتيق باب كيسان لزحل و باب شرقي للشمس و باب توما للزهرة والباب الصغير للمشتري و باب الجابية للمريخ و باب الفراديس لعطارد و باب الفراديس الآخر المسدود للقمر .

وهذه المدينة من الاقليم الثالث وطولها سبعون درجة وعرضها ثلاثة وثلاثون درجة ونصف درجة وطالعها برج السنبلة وصاحب ساعة بنائها عطارد .

واختلف فيمن بنى دمشق فروى ابن عساكر عن وهب بن منبه قال ودمشق بناها العازر غلام ابراهيم الخليل عليه السلام وكان حبشيا وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج ابراهيم من النار وكان اسم الغلام دمشق فسماها على اسمه وذلك بعد الغرق وكان ابراهيم جعله على كل شيء له وسكنها الروم بعد ذلك بزمان . وروي عن ابي البختري انه قال ولد ابراهيم على رأس ثلاثة آلاف سنة ومائة وخمسين سنة من جملة الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة قال وذلك بعد بنيان دمشق بخمس سنين . وحكي عن ابى الحسين الرازي انه قال وجدت في الكتاب الذي سماه ابو عبيدة معمر بن المثنى كتاب فضائل الفرس ان يوراسف الملك اليوناني بنى مدينة دمشق وسماها بذلك وقيل ان دمشق بناها دمشقين غلام كان مع الاسكندر . قال ابن عساكر و بلغني من وجه آخر ان ذا القرنين لما رجع من المشرق وعمل السد بين أهل خراسان و بين يأجوج ومأجوج وسار يريد المغرب فلما ان بلغ الشام صعد على عقبة دمر فأبصر

الموضع الذي فيه اليوم مدينة دمشق وكان هذا الوادي الذي يجري فيه نهر دمشق غيطة أُرز والارزة التي وقعت في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة من بقايا تلك الغيطة وكان هذا الماء الذي في هذه الانهار اليوم مجتمعاً في واد واحد فأخذ يتفكر كيف يبني فيه مدينة ثم دعا غلاماً له يسمى دمشقين وكان على جميع ملكه بعد ان نزل من العقبة وأمر ان يحفر له حفيرة بالقرية المعروفة بيلدا ففعلوا ثم أمر أن يرد التراب الذي أخرج منها فلما رد التراب اليها لم تمتلئ الحفرة فقال لدمشقين ارحل فاني كنت نويت ان اؤسس في هذا الموضع مدينة فلم اجد هذا المكان يصلح لها فقال ولم يامولاي قال ان بني ههنا مدينة لم يكف أهلها الزرع الذي يزرعونه فيها وقد اعتبر هذا فوجد حقاً ورحل ذو القرنين وسار حتى صار الى البثينة وحوران وأشرف على تلك السعة ونظر الى تلك التربة الحمراء فأمر أن يناول ذلك التراب فلما صار في يده أعجبه لأنه نظر الى تربة حمراء كأنها زعفران فنزل هناك وأمر أن يحفر في ذلك الموضع حفيرة فلما حفروا أمر أن يرد التراب الى المكان الذي أخرج منه فردوه ففضل منه تراب كثير فقال ذو القرنين لغلامه دمشقين ارجع الى الموضع الذي فيه الارز في ذلك الوادي فاقطع ذلك الشجر وابن على حافة الوادي مدينة وسمها على اسمك فهناك يصلح ان تكون مدينة وهذا الموضع ميرتها فرجع دمشقين ورسم المدينة وبناها وعمل لها حصناً وهي المدينة الداخلة وعمل لها أربعة ابواب جيرون وباب البريد وباب الفراديس

وباب الحديد الذي في سوق الاسبا كفة وسكنها ومات بها وكان قد بنى في هذا الموضع المسجد الجامع اليوم يعبد الله فيه ٠

وروى ابن عساكر عن خصيف انه قال لما هبط نوح من السفينة اتى دمشق فخطها ٠ وقيل أول من بنى دمشق جيرون بفتح أوله واسكان ثانيه بعده راء مهملة على وزن فعلول من جيرا وفيعول من جرن أي مرن وهو أقرب الى الصواب ويقال جيرين بن سعد بن عاذ بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح ٠ قاله الحسن بن احمد الهمذاني وعندي ان نوحاً خط اول حائطها ثم بناها جيرون فقد أسند ابن عساكر عن كعب انه قال اول حائط وضع على وجه الارض بعد الطوفان حائط حران ودمشق ثم بابل وأما بناء جيرون داخلها فمن بناء سليمان بن داود بنته الشياطين وكان اسم كبيرهم في البناء جيرون وهي سقيفة متصلة على عمد وفي بعض الكتب ان جيرون وبريد كانا اخوين وهما اللذان يعرف بهما باب جيرون وباب البريد ٠

قال ابن كثير في سنة ثلاث وستين وستمائة وفي رمضان من هذه السنة شرع في تبليط باب البريد من باب الجامع الى القنى التي عند الدرج وعمل في الصف القبلي منه بركة وشاذروان وكان في موضعها قناة من القنوات ينتفع بها الناس عند انقطاع نهر بانياس فغيرت وعمل هذا الشاذروان قلت ثم غير ذلك وعمر مكانه دكاكين اه ٠

وقال في سنه أربع وستين وستمائة وفيها كمل عمارة الحوض الذي

شرقي قناة البريد وله شاذروان وفيه أنابيب يجري فيها الماء من القناة التي هي غربيه الى جانب الدرج الشمالي اه ·

ويقال لدمشق جلق بكسر الجيم من جلق رأسه اذا حلقه · وروى ابن ابي ذئب عن المقبري انها ارم ذات العماد · وقال محمد بن كعب هي الاسكندرية ·

نكتة : قال الذهبي في العبر في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة وفيها أمر صلاح الدين ببناء السور الكبير المحيط بمصر والقاهرة من البر وطوله تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالهاشمي فلم يزل فيه العمل الى ان مات صلاح الدين وأنفق عليه أموالاً لا تحصى وكان مشد بنائه قراقوش وأمر ايضاً بانشاء قلعة الجبل اه · وقراقوش المذكور هو مملوك تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن اخي صلاح الدين وهو الذي فتح طرابلس الغرب في سنة ثمان وستين وخمسمائة قال الذهبي في سنة سبع وتسعين وخمسمائة وفيها توفي قراقوش الامير الكبير الخادم بهاء الدين الابيض فتى الملك اسد الدين شيركوه وقد وضعوا عليه خرافات ولولا وثوق صلاح الدين بفعله لما سلم الله تعالى عكا وغيرها وكان له رغبة في الخير وآثار حسنة اه ·

وقال تلميذه ابن كثير في سنة تسعين وستمائة وفيها انتهت عمارة قلعة حلب وسورها بعد الخراب الذي أصابها من هلاكو واصحابه عام ثمان وخمسين انتهى ·

وقد اتفق لي في مقام ابي الدرداء رضي الله عنه بالقلعة الدمشقية قراءة احاديث خمسة على مشايخ خمسة بألقاب خمسة وكنى خمسة واسماء

خمسة وانساب خمسة من كتب خمسة عن مشايخ لهم خمسة ورواة عنهم خمسة في ابواب خمسة ·

الاول « في باب حسن الخلق » اخبرنا عمي العلامة مفتي دار العدل الشريف جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن محمد بن علي بن طولون الصالحي الحنفي بقراءتي عليه بمقام ابي الدرداء بالقلعة الدمشقية أنا ابو العباس احمد ابن عبد القادر بن طريف المصري الحنفي أنا ابو الحسن علي بن محمد بن الصائغ ح وأخبرناعاليا ام عبد الرزاق خديجة ابنة عبد الكريم الأرموية أخبرتنا ام محمد عائشه ابنة محمد بن عبد الهادي قالا أنا ابو العباس احمد بن الشحنة الحنفي زاد ابن الصائغ فقال وام عبد الله ست الوزراء وزيرة ابنة عمر بن المنجا قالا أنبأنا الموفق ابو طالب عبد اللطيف بن محمد بن القبيطي أنا ابو المعالي احمد بن عبد الغني الباجياوي أنا ابو منصور محمد بن احمد الخياط أنا ابو طاهر عبد الغفار بن محمد المؤدب أنا ابو علي محمد بن احمد بن الصواف أنا ابو علي بشر بن موسى الأسدي ثنا عبد الله بن الزبير ابو بكر الحميدي المكي ثنا سفين ثنا عمرو بن دينار عن ابن ابي مليكة عن يحيى بن ابي مملك عن ام الدرداء عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ان أثقل شيء في الميزان خلق حسن وان الله عز وجل يبغض الفاحش البذيء » هكذا أخرجه الحميدي في مسنده

الثاني في باب بر الوالدين مالم تكن معصية · أخبرنا قاضي صفد زين الدين ابو حفص عمر بن احمد بن زيد الحنبلي بقراءتي عليه بمقام ابي الدرداء بالقلعة الدمشقية أنا الحافظ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن فهد

الهاشمي سماعاً عليه بزيارة دار الندوة بالحرم الشريف المكي أنا البدر ابو علي حسين بن علي البوصيري سماعاً عليه بصليبة جامع طولون خارج القاهرة أنا قاضي المسلمين العز ابو عمر عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة أنا والدي بقراءتي عليه أنا ابو الفداء اسماعيل بن احمد القرافي وأبو محمد مكي بن مسلم بن علان في كتابيهما ح قال ابن فهد وأنبأنا عالياً قاضي المسلمين الزين أبو بكر بن الحسين بن طولون عن ابي العباس احمد بن الشحنة الخياط أنا ابو الفضل جعفر بن علي بن هبة الله اذناً ح وكتب الي عالياً أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي عمر عن ام محمد عائشة بنت المحتسب العمرية قالت هي والعز بن جماعة أخبرتنا ست الفقهاء ابنة ابراهيم الواسطي قالت عائشة اجازة وقال العز سماعاً قالت هي والخياط أنبأنا ابو طالب عبد اللطيف بن يوسف بن القبيطي أنا ابو المعالي أحمد بن عبد الغني بن حنيفة سماعاً ح قالت ست الفقهاء وأنبأنا أبو الفضل جعفر بن علي الهمداني قال هو ومكي والقرافي أنبأنا أبو طاهر أحمد بن محمد الاسكندراني الحافظ قال هو وابن حنيفة أنا أبو غالب محمد بن الحسن الباقلاني أنا ابو العلاء محمد بن علي الواسطي أنا ابو نصر احمد بن محمد النيازكي ثنا أبو الخليل احمد بن محمد بن الخليل ثنا ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ثنا محمد بن عبد العزيز ثنا عبد الملك بن الخطاب بن عبيد الله بن ابي بكر البصري لقيته بالرملة حدثني راشد أبو محمد عن شهر بن حوشب عن ام الدرداء عن أبي الدرداء قال « أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع : لا تشرك بالله شيئاً وان

قطعت أو حرقت ولا تتركن الصلاة المكتوبة متعمداً ومن تركها متعمداً برئت منه الذمة ولا تشربن الخمر فانهــا مفتاح كل شر وأطع والديك وأن أمراك ان تخرج من دنياك فاخرج لهما ولا تنازعن ولاة الامر وان رأيت أنك أنت ولا تفرن من الزحف وان هلكت وفر أصحابك وأنفق من طولك على أهلك ولا ترفع عصاك عن أهلك وأخفهم في الله عز وجل» هكذا أخرجه البخاري في كتابه الادب المفرد.

الثالث « في باب الصوم » أخبرنا العلامة شمس الدين ابو اللطف محمد ابن محمد الحسيني المصري الحنفي بقراءتي عليه بمقام أبي الدرداء بالقلعة الدمشقية أنا قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي بقراءتي عليه أنا الحافظ برهان الدين أبو الوفاء ابراهيم بن محمد الحلبي ح وأنا عالياً أبو عبد الله محمد بن ابي الصدق العدوي بقراءتي عليه عن الحافظ برهان الدين أبي الوفاء ابراهيم بن محمد الحلبي أخبرتنا أم ابيها جويرية ابنة احمد الهكاري قالت أنا ابو الحسن علي بن عمر الهروي أنا ابو المنجا عبد الله بن عمر بن اللتي حضوراً في الرابعة ح وأباح لي عالياً بدرجة أخرى المحيوي يحيى بن محمد الحنفي عن أم محمد عائشة بنت محمد العدوية عن الشهاب أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم عن ابي المنجا عبد الله بن عمر بن اللتي أنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى السجزي أنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداوودي أنا ابو محمد عبد الله بن احمد السرخسي أنا ابو اسحق ابراهيم بن خزيمة الشاشي أنا ابو

محمد عبد بن حميد الكشي ثنا عبد الملك بن عمرو ثنا هشام بن سعد عن عثمان بن حبان الدمشقي أخبرتني أم الدرداء عن أبي الدرداء قال « لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره في اليوم الحار الشديد الحر حتى ان الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما في القوم صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه » هكذا أخرجه عبد بن حميد في مسنده ٠

الرابع « في باب الربا » أخبرنا المسند علاء الدين أبو الحسن علي ابن عبدالله بن ابي عمر العمري المؤذن بجامع بني أمية بقراءتي عليه بمقام ابي الدرداء بالقلعة الدمشقية أنا الحافظ شمس الدين أبو بكر محمد بن ابي بكر عبد الله بن ناصر الدين سماعاً عليه أنا أبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ شمس الدين محمد الذهبي أخبرتنا ست الوزراء وزيرة ابنة عمر التنوخية خ وأذن لي عالياً أبو العباس أحمد بن محمد الحمصي عن أم محمد عائشة ابنة محمد المقدسية عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قال أنبأنا وقالت وزيرة أنا أبو عبدالله الحسين بن المبارك الزبيدي أنا الحافظ أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي أنا ابو الحسن مكي بن منصور الكرخي أنا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري أنا ابو العباس محمد بن يعقوب الاصم أنا ابو محمد الربيع بن سليمان المرادي أنا الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي أنا مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار ان معاوية بن ابي سفيان باع سقاية من ذهب او ورق باكثر من وزنها فقال له ابو الدرداء سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن مثل

هذا فقال معاوية ما أرى بهذا بأساً فقال ابو الدرداء من يعذرني من معاوية أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخبرني عن رأيه لا أساكنك بأرض . هكذا أخرجه الامام ابو عبد الله الشافعي في كتابه المسند الملتقط .

الخامس « في باب الزهد » أخبرنا الشيخ الصالح المحقق برهان الدين أبو اسحاق ابراهيم بن قاسم بن الكيال الدمشقي الشافعي بقراءتي عليه بمقام أبي الدرداء بالقلعة الدمشقية أنا أبو العباس احمد بن حسن بن عبد الهادي المقدسي الصالحي أنا الصلاح أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابي عمر المقدسي الاصل الصالحي أنا الفخر أبو الحسن علي بن احمد البخاري السعدي أنا أبو علي حنبل بن عبد الله البغدادي أنا ابو القاسم هبة الله بن محمد ابن الحصين أنا ابو علي الحسن بن علي بن المذهب أنا ابو بكر احمد بن جعفر القطيعي أنا ابو عبد الرحمن عبد الله بن الامام احمد بن محمد بن حنبل حدثني ابي ثنا عبد الرحمن ثنا هشام عن قتادة عن خليل العصفري عن ابي الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما طلعت شمس قط الا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ماقل وكفى خير مما كثر وألهى ولا آبت شمس قط الا بعث لجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً » هكذا أخرجه الامام احمد ابن حنبل في مسنده . وابو الدرداء هذا قال شهاب الدين ابو الفضل ابن حجر عويمر بن مالك وقيل ابن عامر وقيل ابن ثعلبة وقيل ابن عبد

الله وقيل ابن زيد بن قيس بن امية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الانصاري أبو الدرداء الخزرجي وقال الكديمي عن الاصمعي اسمه عامر وكانوا يقولون له عويمر وكذا قال عمرو بن علي عن بعض ولده روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة وزيد بن ثابت روى عنه ابنه بلال وزوجته أم الدرداء وفضالة بن عبيد وأبو أمامة ومعدان ابن أبي طلحة وأبو ادريس الخولاني وأبو مرة مولى ام هانئ وأبو حبيبة الطائي وأبو السفر الهمداني مرسل وأبو سلمة بن عبد الرحمن وجبير بن نفير وسويد بن غفلة وزيد بن ثابت وصفوان بن عبد الله ابن صفوان وعلقمة بن قيس وكثير بن مرة ومحمد بن سيرين ومحمد ابن سعد بن أبي وقاص ومحمد بن كعب القرظي وهلال بن يساف وآخرون . قال ابو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز أسلم يوم بدر وشهد أحداً وأبلى فيها وقال الاعمش عن خيثمة عنه قال كنت تاجراً قبل البعثة فزاولت بعد ذلك التجارة والعبادة فلم يجتمعا فأخذت العبادة وتركت التجارة وقال صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد « نعم الفارس عويمر » وقال « هو حكيم أمتي » ومناقبه وفضائله كثيرة جداً قال ابو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز مات ابو الدرداء وكعب الاحبار في خلافة عثمان لسنتين بقيتا من خلافته وقال الواقدي وغير واحد مات سنة اثنتين وثلاثين قلت وقال ابن حبان ولاه معاوية قضاء دمشق بأمر عمر بن الخطاب وقال ابن سعد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين

عوف بن مالك وقال ابن عبد البر قال طائفة من اهل الاخبار مات بعد صفين قال والاول أصح عند اهل الحديث انه توفي في خلافة عثمان وصحح ابن الحذاء قول البخاري انه عويمر بن زيد وقال عمرو ابن علي عن بعض ولده مات قبل عثمان بسنة انتهى كلام ابن حجر ·

قلت قال العز بن شداد في كتابه الاعلاق الخطيرة ان قبر ابي الدرداء وقبر أمه بالجبانة قبلي الباب الصغير قبلي دمشق والله اعلم اه ·

نكتة : احمد بن علي بن ايوب بن رافع الحنفي كان امام هـذه القلعة سمع من ابي بكر بن الرضي وغيره وحدث مات في شوال سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وله ثمانون سنة ·

« غريبة » من النوادر ان قلعة دمشق لما كملت عمارتها على يد نوروز حضر عنده شخص عجمي فقطع له آلة بطريق الهندسة بحيث يطلع الماء من النهر في دلوين يديرهما شخصان من نحاس فيجري الماء الى الطارمة بالقلعة بغير علاج بهيمة ولا حامل يصعد الدلو فيصب في الاناء الذي أعدله و ينزل فيطلع الآخر كذلك · وحكى لي بعض المعمارية انه كان يمكن سوق الماء من المزة الى الطارمة على السواء ·

فائدة : وفي سنة ثمان واربعمائة عزل الحاكم بأمر الله شاتكين عن امرة دمشق وكان ظالمًا غشومًا وهو الذي بنى جسر الحديد شرقي الطارمة تحت قلعة دمشق واتفق ان يوم فراغ الجسر قال لا يعبر احد غدًا عليه فلما أصبح جلس على الباب ينظر اليه وقد عزم على ان يكون

اول من يركب و يعبر عليه واذا بفارس قد اقبل فعبرعليه فانكره وقال من ابن قال من مصروناوله كتاباً من الحاكم بعزله فقال بعض أهل دمشق :

عقد الجسر وقــد حــل عراه بيديــه
ما درى ان عليه يعبر العزل اليه

وأعظم من رأيناه ولي نيابتها الامير طومنباي الاشرفي الجركسي وقد مدحه شيخنا القاضي بهاء الدين محمد بن الباعوني الصالحي فقال :

لنائب قلعة الشأم علينا فضل انعام
لطومنبــاي مولانا مقام باذخ سامي
علينــا الله عطّفه فعاملنــا باكرام
مليك كفه بحر فرات طافح طامي
أنامله على قرطا سه تجري بأقلام
توقع للورى فيه بأرزاق وأقســام
فتحسبه سحاباً قد توالى سحه الهامي
وقلعته به عمرت وشيدهــا باحكام
حكت أبراجها من حو لهــا أطواد أعلام
فتنظر كل برج قد تأطد مثل اهرام
مراسيه مسلطــة على ما يقصد الرامي
وليس يمسه من با رد بأس ولاحامي
فطومنباي فارسهــا وحارسها لها حامي
كليث رابض فيها شديد البأس ضرغام

وجدد منهلاً فيها بتوفيق والهام
ليملأ صحفه أجرا ويمحو كل آثام
على دركاة خندقها يفيض لوارد ظامي
مراشف كاسه تحلو كرشف ثغر بسام
سبيل سلسبيل قد تسلسل طول ايام
له انبوب صفر قد توقد مثل ضرغام
وبالابريز قد أزرى وجمر حال اضرام
على الحوض الرخام جرى كابريق على جام
رخام مثل زهر قد بدا من غير اكمام
له كامان لطفهما تجاوز لطف أجسام
وحسنهما دعا رائي صفائهما لالمام
بسلسلتين محكمتين في تنضيد نظام
سبيل دائم يجري لقوم بعد أقوام
تسير به روايات على نجب وأقدام
فيملأ صيته الآفا ق في عرب واعجام
يفوح ثناؤه عطراً كريحان وتمام
وهذا النظم خلده مدى أحقاب اعوام
وناظمها محمد كا ن ذا نقض وابرام
الى باعون ينسب وهو في ضر وآلام
وكم قد قال باعوني فلم يظفر بسوام

وقد طال المقام عليـ ه في عال وأسقام
وقد فقد الخديم وكا ن ذا حشم وخدام
وسبعة أشهر بقيت له مع فرط اعدام
يؤمل فضل طومنبا ي يصرفها باتمـام
ويغنم دعوة صدرت بقلب بالاسي دامي
وهذي بكر فكر من شواهد حبه النامي
بديع حسنها جليت لألباب وأفهـام
قصير بحرهـا لكن يعجز كل عوام
فليس ينال غايتها قرائح أهل أوهام
وقد حكمت على من را م يحكيها بارغام
يود يرى بلاغتهـا ولو في طيف أحلام
فهذا نسج ألباب وليس كنقش رسام
وياطومان باي اسلم ودم لنفوذ أحكام
ومدواسعدوجدواسعد وعمر حصن اسلام
وهذا المدح فيك يفو ق شعر أب لتمـام

وأعظم من رأيناه من دواوينها المقر التاجي عبد الوهاب بن الديوان بهاء العتابي وقد مدحه شيخنا القاضي بهاء الدين محمد بن الباعوني المذكور فقال :

أنت للدين وللدنـ يا ورأس الناس تاج
فاتح للمجـد بابـاً منه قد طال رتاج

لك تدبير ورأي　　بها كان النتاج
بحر يمناك فرات　　ما هو الملح الاجاج
فانشرح لا تتبرم　　ان بدا منا لجاج
انا أنهي لك اني　　بي الى التبن احتياج
حيث أخشى وكف سقفي　　حين يشتد الهياج
فارى الاولاد حاروا　　وعيال البيت ماجوا
لا يطيقون مقاماً　　والى أين المجاج
وبهم في البيت ضاقت　　من نواحيها الفجاج
سرّني الله بكشف الضر عنهم لم يناجوا
والذي هم فيه عندي　　منه غم وانزعاج
واضعفي رق جسمي　　مثل ما رق الزجاج
حركاتي ان تحركـ　　ـتُ اضطراب واختلاج
وعلى الاقدام سعيي　　مثل ما قيل عراج
منذ عامين ونصف　　ليس لي صح مزاج
ومن الاسوار حظي　　ناقص فيه اعوجاج
فهو في العامين قسمي　　منه وعد واحتجاج
فتفضل لي بتبن　　فلقد سار العجاج
ومن الاسوار قد طا　　ل بي الوعد الخداج
فاذا لاحظتني في　　وعدهم لي لم يداجوا
فمن أدى منه شيءٌ　　فيه للحال اندراج

ان ضيق الحال مني   بان ما فيه اندماج
غايتي قوت عيالي   لا أوز ودجاج
فاذا لاحظت أمري   أعقب الضيق انفراج
وأضاء الحظ مني   مثل ماضاء السراج

وأعظم من رأيناه من نظارها المقر البرهاني ابراهيم بن المحبي ناظر الجيش محمد بن سلامة الاسلمي وقد مدحه شيخنا القاضي بهاء الدين المذكور فقال :

عهدي ببرهان دين الله يرعاني   ولا يفت رغيفي فت شبعان
اني ابتهجت وسرتني سلامته   لكنني منه في قيد الضنى عاني
وهذه ببديع النظم تهنئتي   تكاد في الحسن تحكي شعر حسان
أرجوه يصرف معلوم الصحابة في   ديوان اوقاف أسوار باحسان
تسعاً وتسعاً لقد كانت غرائره   من الشعير ومن بر بايقان
لكنهم أنقصوه بعد موت ابي   شيئاً فشيئاً الى غايات نقصان
حتى لقد قطعوا عاماً مضى فلنا   لأجل ذا في جهات الوقف عامان
ولا اقول له قدراً أعينه   لكن أطيع الذي يمضي باذعان
فانني حيث أرضى ما ارتضاه لنا   من نفسه صح ما ارجو ببرهان

تنبيه : قدمنا ان جلق لقب دمشق . وقال في كتاب سفر السعادة انه اسم معرب وهو دمشق وقال بعض العلماء انما سميت دمشق بذلك لان الجلق هي المرأة الرنقاء قال :

وأنبثت ان ظبية جلق تجوب الصفا العاد مالا يجونها(*)

قال وشرقي دمشق قرية يقال لها الذنوبة فيها صنم على صورة امرأة رتقاء مطبقة الفرج يخرج الماء من فيه وأذنيه وعينيه الى بركة هناك وجلق اسم لهذا الصنم ثم سميت مدينة دمشق بذلك وهذه القرية كان ينزلها يزيد بن معاوية ٠



(*) هكذا في الاصل

مطبوعات
مكتبة القديمي والبديع

دمشق صندوق البريد ٢٠٧

قرشاً مصرياً	
٢٠	تبيين كذب المفتري في ما نسب الى الامام ابي الحسن الاشعري للحافظ ابي القاسم بن عساكر الدمشقي .
٤	دفع شبهة التشبيه للحافظ ابن الجوزي .
٢	صفعات البرهان على صفحات العدوان لفضيلة الاستاذ الكوثري .
٠	كلمة في السلفية الحاضرة للعلامة الشيخ يوسف الدجوي .
٢٥	ذيول طبقات الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي مع توشيح الذيول للعلامة الكوثري والتنبيه والايقاظ للعلامة الطهطاوي .
٣	شروط الائمة الخمسة للحافظ الحازمي .
٧	ابراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون للسيد احمد الصديق .
٤	انتقاد المغني عن الحفظ والكتاب للقدسي .
١	بيان زغل العلم والطلب للذهبي ومعه النصيحة الذهبية لابن تيمية .
٣	مجموعة الرد على ابن تيمية للتقي السبكي .
٤	أخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي .
٧	أخبار الحمقى والمغفلين للحافظ ابن الجوزي .
٥	التطفيل للحافظ الخطيب البغدادي .
٧	متناول سبيل الله في مصارف الزكاة .
٧ ١	الحث على التجارة والصناعة والعمل لابي بكر الخلال
٢	الفلك المشحون في احوال محمد بن طولون .
٢	اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل لابن علان ، رس
١	المتوكلي فيما في القرآن من الكلمات الاعجمية الاص في اللغة للسيوطي .
١	الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية لابن طولون